العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل في عهد البابا بنديكت السادس عشر

علاء عبد الرزاق *

الخلاصة:

تعد العلاقات التي تربط بين الفاتيكان واسرائيل ومن قبلها العلاقات مع الدين اليهودي واحدة من النقاط الفارقة في التاريخ وذلك لارتباط هذه العلاقة بجملة من المحددات التي لا يمكن معها فصل ما هو ديني عما هو سياسي، ولعل القاعدة التي وضعها البابوات السابقين في تحديد العلاقة مع اسرائيل قد فسحت المجال امام البابا بنديكت السادس عشر والذي تولى البابوية في العام 2005 لوضع بصمته في مسارات العلاقة ولقد تم في ثنايا البحث تبيان اهم مسارات العلاقات بين الفاتيكان واسرائيل في عهده وكذلك الموقف من القدس والذي لعبه فيه البابا منذ ان اكن مشرفاً على الجهاز الاداري للفاتيكان دوراً بارزاً وفاعلاً.

Abstract:

The topic area of that's research dealing with relations between Vatican and State of Israel during region of Pope Benedict XVI which started his pontification since 2005, already as his German origin, many circles in Israel argued about past relation with Nazi Youth association, yet the new Pope changed that's store type by declared his wish to develop relations with Jewish religion and Israel as state, also he condemned the Holocaust, and visited Israel so he make the relations with Israel as one of most important relations which Vatican make its with other states.

* مركز الدراسات الفلسطينية / جامعة بغداد.

المقدمة

يتناول البحث طابع العلاقات التي رسمت بين الفاتيكان وإسرائيل خلال عهد البابا بنديكتس السادس عشر، والمواقف التي اتخذت خلال الحقبة التي امتدت من توليه للسدة الرسولية في العام 2005، وحتى الوقت الحاضر، ولابد من التأكيد على إن هذا البحث يشكل امتدادا لبحثنا السابق والخاص بالعلاقات بين إسرائيل والفاتيكان خلال عهد البابا يوحنا بولس الثاني(1978-2005)

وسوف يضم البحث مبحثين يتناول الاول النشأة الفكرية والعقائدية للبابا بنديكت السادس عشر والمواقف التي احتفظ بها لليهود وموقف اليهود منه

واما المبحث الثاني فيتناول مسار العلاقات التي اتخذت بين الفاتيكان وإسرائيل بعد تولي الاسقف كارل راتزنجر المسند الرسولي في العام 2005، مع تناول الموقف الذي اتخذه الفاتيكان بشكلٍ عام من قضية القدس والدور الذي لعبه البابا الحالي في صياغة موقف الفاتيكان من هذه القضية الحيوية والمحورية والتي تُشكل نقطة التقاء وتقاطعٍ في ذات الوقت بين الديانات السماوية الثلاث. والسؤال الذي يطرح في هذا المبحث يتعلق بالاساليب التي حاول بها البابا الحالي ان يُرسي بها علاقاتٍ متينة مع إسرائيل وان يتابع الخطوات التي بدأ بها اسلافه من البابوات.

ان الفرضية الاساسية التي ينطلق منها البحث إنما تتجلى بالكيفية التي رُسمت بها العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل خلال عهد البابا الحالي وما هي الافاق المستقبلية للعلاقة بين الطرفين وكيف يمكن ان تؤثر في النظرة الى اليهود والى موقف البابا والفاتيكان عموما من العالم الاسلامي، ولابد من توضيح حقيقة أساسية تتجلى بكون البابا الحالي كان أحد المسؤولين عن الجهاز الاداري والارشيفي للفاتيكان وبالتالي فقد وصف بكونه الرجل الذي يعرف كل شيء عن ارشيف الفاتيكان، ولعل من ابرز المحاور التي شغلته اثناء عمله انذاك هو مدينة القدس ومصيرها وكيفية التعامل مع الوضع القانوني الخاص بها والتنازع الموجود بين الجانب الاسرائيلي والجانب الفلسطيني، وكيف يمكن للفاتيكان ان يحافظ على المقدسات المسيحية في القدس.

لقد تناول البحث ابرز النقاط العالقة في العلاقة بين الفاتيكان واسرائيل وبين الكنيسة الكاثوليكية بشكلٍ عام واليهود وكيف يمكن ان تتطور هذه النقاط العالقة وتترك تأثيرها على العلاقات المستقبلية بين الطرفين وكيف يمكن ان تؤثر في موقع اسرائيل في العالم وفي علاقات الفاتيكان مع اليهود ومع الفلسطينين بشكل خاص والعرب والمسلمين بشكلٍ عام سيما وان البابا الحالي لم يكن موفقاً في كسب ود المسلمين كما يدأب في كسب تعاطف وود اليهود.

المبحث الأول: النشأة التاريخية والفكرية للبابا بنديكت السادس عشر:

تولى البابا بنديكتس السادس عشر مسند الكنيسة الرسولية البطرسية وهو في عمر متقدم اذ بلغ عمره انذاك الثامنة والسبعون عاما وبذاك اصبح اكبر البابوات الذين اعتلوا كرسي رئاسة الكنيسة سنا منذ البابا كليمنت الثاني عشر(1730-1740) ويعد اكثر الكاردينالات الذين خدموا في الكنيسة الكاثوليكية من اي بابا أخر باستثناء البابا بنديكتس الثالث عشر، ويعد تاسع بابا من اصل الماني، اذ مضت حقبة طويلة قبل ان يتولى بابا من اصول المانية السدة الرسولية، فقد كان الخليفة الالماني للبابا ادريان السادس(1522-1523). [1]

ولد كارل راتزنغر في بافاريا في 16-نيسان في العام 1927 ولقد أجريت له طقوس التعميد في ذات اليوم، وكان الاصغر من بين أخوته الثلاث وكان والده جوزيف راتزنغر ضابطا في الشرطة، وانحدرت والدته ماري راتزنغر من اصول ايطالية ولقد بدأ بدراساته الخاصة باللاهوت منذ مرحلة مبكرة من حياته، وكان لتوجه اخيه الاكبر جورج راتزنغر الديني واللاهوتي اثر كبير عليه إذ درس هو الاخر اللاهوت وارتسم قسا وحاليا يتولى ادارة احدى المدارس الدينية في بافاريا.[2] ولعل واحدة من المناسبات المهمة التي تركت اثرا في حياته الدينية كانت اختياره وهو في سن الخامسة من بين الاطفال الذين هيئوا لاستقبال رئيس اساقفة ميونيخ عاصمة بافاريا باكاليل الورد، ويبدو ان ملابس الكاردينال الدينية قد استهوته، وللمصادفة التاريخية فقد تم أختياره كاردينالا في اليوم ذاته الذي تم فيه استقبال رئيس اساقفة ميونيخ. ولقد تخرج كارل راتزنجر من المدرسة الابتدائية، والتي لاتزال موجودة حتى اليوم. وعندما هيمن الحزب النازي على مقاليد الحكم في المانيا، عام 1933 اجبر كارل على الانضواء في المنظمة الشبابية التابعة للحزب النازي، ولكنه لم يكن من الاعضاء المتحمسين او النشطين اذ لم يكن ليحضر النشاطات والاجتماعات الخاصة بالمنظمة الشبابية، وكان والده معاديا للفكر النازي ويرى باستحالة توافق الايدلوجية النازية مع مبادئ الايمان الكاثوليكي، ويبدو ان الحقبة النازية قد تركت جملة من الاثار السلبية على نفسية الفتى كارل سيما بعد ان تعرض عدد من افراد عائلته للاعتقال والقتل من لدن الاجهزة الامنية النازية، لقد ولدت هذه الحوادث والتاريخ الدموي الذي ساد المانيا خلال الحقبة النازية جملة من الانعكسات على شخصية كارل راتزنغر وكانت سبيله فيما بعد مع الجماعات التي وقع عليها الاظطهاد النازي بشكل مباشر وفي مقدمة هذه الجماعات اليهود.

واصل راتزنغر الشاب دراسته في ثانوية دينية ولم يعرف ابدا اي شكل من اشكال التعليم العلماني ولابد من ان مثل هذا التوجه قد ترك اثرا كبيرا فيه، وكان عاملا دافعا نحو تبنيه اراء اكثر مُحافظة وتشدداً،ثم اكمل دراسته في كلية للاهوت في ميونيخ واعد اطروحته العلمية الخاصة بالدكتوراه عن القديس اوغسطين وكانت بعنوان" البشر والمملكة السماوية في الفلسفة الاوغسطينية" ولقد ابتدأ بدراسته هذه في العام 1953 ومن ثم اكمل الدراسة في العام 1957 واضحى استاذا في كلية فريسينغ للاهوت في العام 1958.[3]

ومن ثم انتقل للتدريس في جامعة بون في العام 1959 وكانت محاضرته الاولى التي استهل بها عمله التدريسي بعنوان" رب الايمان ورب الفلسفة" ومن ثم انتقل للتدريس في جامعة مينستر. وشارك كارل راتزنغر خلال هذه الفترة في المجلس الفاتيكاني المسكوني الثاني والذي انعقد للحقبة الممتدة بين عامي 1962-1965 وكانت مهتمه الاساسية في هذا المؤتمر قد تمثلت بادائه دور المستشار اللاهوتي ولقد بدا خلال هذه المرحلة من حياته اكثر تحررا وساعيا الى دعم الاراء والاتجاهات الليبرالية والاكثر تحررا في موقفها الديني ولقد ابدى اعجابه باراء وطروحات كارل راهنر والذي اشتُهر بكون لاهوتيا اكاديميا وداعيا الى اصلاح الكنيسة الكاثوليكية.وفي العام 1966 تم تعيين كارل راتزنجر كاستاذ لكرسي اللاهوت العقائدي في جامعة توبنغن وكانت اولى نتاجاته العلمية قد تمثلت باصداره كتابُ بعنوان " مدخل الى المسيحية" والذي صدر في العام 1968 ولقد بين في هذا الكتاب عن رأيه الخاص بدور البابا والذي عده شخص يُفترض ان يستمع إلى الاراء المُختلفة داخل الكنيسة ومن ثم يقوم باصدار قرارات مصيرية تخص الكنيسة، وهذا يعني انه لم يكن محبذا لوجود سلطة مركزية في البنيان الكنسي الكاثوليكي.ولقد عاصر اثناء وجوده في جامعة توبنغن التظاهرات الطلابية التي اندلعت في الاعوام 1967-1968 ولاحظ الطابع الفوضوي البوهيمي الذي اتخذه الطلبة وتميز حركتهم بعدم الاحترام للاعراف السائدة ولمقتضيات البناء الجامعي الامر الذي حعله يتراجع بشكل كبير عن طروحاته الليبرالية والتحررية ويسعى الى تبني اراء اكثر مُحافظة داخل الوسط الكنسي.[4]

ورغم وجود مثل هذا التراجع عن اراء وتوجهات تم اعتناقها سابقا من لدن كارل راتزنجر الا انه بين في مقابلة اجريت له في العام 1993 بعدم وجود اي تناقضات او تراجع في الافكار والاتجاهات التي تبناها طيلة حياته، على الرغم من ان زميله في الجامعة هانس كونغ قد أدان وبشدة التبدل الجذري في المواقف التي اتخذها راتزنغر. ولقد دافع كارل راتزنغر وبشدة عن مجمل

اعمال المجمع الفاتيكاني الثاني ولاسيما الفقرات والتوصيات التي تخص علاقة الكنيسة الكاثوليكية مع الاديان الاخرى، واعلان احترام المعتقدات الدينية لمختلف الشعوب وضمان حرية الاديان والمعتقدات.ولقد شغلت قضية علاقة الكنيسة الكاثوليكية مع الاديان والمعتقدات الاخرى بال وتفكير الاسقف كارل راتزنغر سيما بعد ان كُلف بمهام ادارة المجمع الخاص بعقائد إلايمان وبين بشكل تفصيلي علاقة الكنيسة الكاثوليكية مع الاديان الاخرى في العام 2000.[5]

ولقد شُغل راتزنجر خلال عمله في جامعة توبنغن بتأليف ودبج المقالات في مجلة لاهوتية ذات منهجٍ اصلاحي تعرف باسم كونسليوم على الرغم من انه بدأ وكما ذكرنا سابقا بالتراجع عن نهجه الليبرالي التحرري في تناول موقع البابا في صدارة الكنيسة. ومن ثم آب الى بافاريا في العام 1969 وعمل في جامعة روغنسبرغ، وأسس مجلة اكاديمية لاهوتية تُعرف باسم (كومونيو) والتي تعني العموم مع لفيف من الاساتذة، ولقد اضحت هذه المجلة منذ العام1969 وحتى الوقت الحاضر واحدة من أشهر المجلات العلمية اللاهوتية الكاثوليكية سيما وانها تطبع وتُنشر بحوالي سبعة عشر لغة حية ومنها الانكليزية والالمانية والفرنسية والاسبانية ولقد بقي راتزنغر يُشارك وبدون انقطاع في كتابة مقالاتٍ لهذه المجلة حتى تم انتخابه رأساً للكنيسة الكاثوليكية في العام 2005. ولقد دعا راتزنغر في العام 1976 الى ضرورة تبني الاعلان الكاثوليكي للايمان باعتباره عقيدةً رسمية، ولكن مثل هذه الرغبة لم تلق لها اذانٍ صاغية نتيجة وجود اختلافات لاهوتية حول هذا القانون.[6]

ولقد تم تعيين راتزنغر في العام 1977 رئيسا لاساقفة ميونيخ وظل في هذا المنصب حتى العام 1982 ولقد تمت رسامته كرئيسٍ للاساقفة من لدن البابا بولس السادس وبحلول العام 2005 كان واحدا من بين اربعة عشر اسقفا تمت رسامتهم من لدن البابا بولس السادس ما يزالوا على قيد الحياة، وواحد من بين ثلاثة وصلوا الى عمر الثمانين.[7]

وفي الخامس والعشرين من تشرين الثاني نوفمبر 1981 تم اختيار كارل راتزنجر من لدن البابا يوحنا بولس الثاني كعضو في المجمع المُقدس لعقيدة الايمان والذي يعرف عادة باسم المجمع المُقدس للكرسي الرسولي، والذي يُعد بمثابة الوريث التأريخي لمحاكم التفتيش. ولم يكن ليستمر في وظيفته الجديدة هذه اذ سرعان ما استقال في العام 1982 وتم تعيينه في مدرسة الكاردينالات واضحى كاردينالا في العام 1993 وتولى وكالة عمادة ومن ثم عمادة المدرسة بين عامي 1998 و2002.ولقد استطاع الكاردينال رايتزنجر شغل مركزه الجديد بفاعلية ومسؤولية

فلقد عمل على اعادة تعريف قوانين الايمان الكاثوليكي وتحديدها بشكلٍ اكثر دقة وحدد موقف الكنيسة من قضايا شائكة مثل تحديد النسل والمثلية الجنسية، والحوار المسيحي المسيحي والحوار الكاثوليكي مع الاديان الاخرى.ولقد طلب من البابا اعفائه من عضوية هذه اللجنة في العام 1997 الا ان البابا رفض طلبه هذا نتيجة الجهود التي بذلها راتزنجر في خدمة الكنيسة الكاثوليكية في هذا المجال.[8] ولقد اضحى راتزنجر مسؤولا بشكلٍ غير مباشر على الجهاز الاداري والارشيفي للفاتيكان وبدأ البابا يوحنا بولس الثاني بالاعتماد عليه بشكل تام سيما في القضايا التي تكون بحاجة الى معرفة وثائقية بموقف الفاتيكان.

وبعد ان بدأ البابا يوحنا بولس الثاني يدخل مراحل حرجة من مرضه الامر الذي اقعده عن ممارسة مهامه رشح الكثيرون كارل راتزنجر لكي يتربع على العرش الرسولي سيما بعد ان تم ترشيحه كواحد من بين الشخصيات المائة المؤثرة في عالم اليوم، وبعد وفاة البابا في نيسان-ابريل 2005 دخل راتزنجر في منافسة مع عدد من الاساقفة ذوي التوجه المتحرر ورجح الكثيرون ان يخلف يوحنا بولس الثاني في مهامه الحبرية، واما هو فقد آمل في ان ينهي حياته الاسقفية قافلا الى مدينته في بافاريا وفي ذات البيت الذي ولد ونشأ وترعرع فيه مُكرساً نفسه لتأليف الكتب الخاصة بالفلسفة المسيحية.[9]

ولقد تم انتخاب الاسقف كارل راتزنجر في التاسع عشر من ابريل نيسان 2005 بعد اربع عمليات اقتراع لم يتم التوصل خلالها الى مرشح واحد ولقد بين راتزنجر انه كان عازفا عن قبول المرتبة الاعلى في الكنيسة الكاثوليكية ولقد عبر عن رأيه هذا بالقول بانه دعا الله ان يبعد عنه الاختيار الا ن الله لم يستجب هذه المرة لتضرعاته.[10] ولقد اختار البابا الجديد اسم بنديكت وذلك لان اخر بابا حمل هذا الاسم والذي يعني الممجد او المُبارك هو البابا بنديكت الخامس عشر والذي جلس على السدة الرسولية اثناء الحرب العالمية الاولى وبذل جهودا مضنية في إرساء حالة من السلام بين الدول المُتحاربة وعده البابا الحالي بمثابة الرسول الشجاع للسلام، واعلن انه سوف يتابع الخطوات التي ارساها بنديكت الخامس عشر في ارساء حالة من السلم والتناغم بين الشعوب والاديان المُختلفة كما أعلن ان اختياره لهذا الاسم قد جاء تيمناً باسم (القديس بنديكتوس) والذي قضى حياته في ترسيخ العقائد المسيحية في اوربا، وأمل ان يحذو حذوه في إعادة الدور الذي قام به القديس بنديكت في إعادة القيم المسيحية للحياة الغربية.[11]

ولقد حاول البابا بنديكت السادس عشر متابعة الدور الذي قام به عندما كان عضوا في المجمع الفاتيكاني وذلك عن طريق السعي لغرس القيم المسيحية الكاثوليكية في المجتمعات الاوربية والمجتمعات ذات الاغلبية المسيحية بشكلٍ عام، ولقد عد شخصية السيد المسيح وشخصية البابا الراحل يوحنا بولس الثاني بمثابة الشخصيتين اللذين تركا تأثيرا كبيرا في منهجه الفكري ولقد اقتبس من البابا السابق عبارةً مفادها" ان نزع الخوف من فكر ومشاعر الانسان يتأتى عن طريقٍ واحد الا هو جعل المسيح حاضرا في حياتنا وبقوة ومن خلال هذا التجلي الروحاني للمسيح تصبح حياة الانسان حرة واكثر جمالا وإشراقاً ومن خلال فتح ابواب النفس للمسيح سوف يجد الانسان معنى الحياة الحقيقية.[12] كما دعا البابا بنديكت السادس عشر المسيحيين إلى إقامة علاقة صداقة مع الله واكد على ضرورة ادامة هذه الصلة مع الله والتي يعتمد عليها الوجود الانساني بشكلٍ كامل فيستطيع الانسان ان يتكلم مع الله كصديق حميم، ومن خلال هذه الصداقة الحميمة يُمكن جعل العالم اكثر سعادةً ونقاءً ومن خلال هذه العلاقة تستطيع البشرية تجاوز المحن التي تواجهها، ولقد وضع كتاب البابا بنديكت السادس عشر(يسوع الناصري) أسس الفلسفة الاخلاقية والدينية التي يؤمن بها سيما وانه وضعها للرد على اي اراء كانت ترى بإن الله قد تخلى عن العالم واضحت المادة هي السيد الفعلي، في الوقت الذي أراد فيه ان يجعل الصلة دائمة وحميمية مع المسيح.[13]

المبحث الثاني : طبيعة العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل

المطلب الأول: العلاقات بين الفاتيكان والديانة اليهودية:

لا يمكن فهم طبيعة العلاقات القائمة بين الفاتيكان ودولة إسرائيل بدون فهم للعلاقات القائمة بين الديانة المسيحية بشكل عام، والديانة اليهودية والإرث التاريخي الذي تركته هذه العلاقة على النظرة بين أتباع الدينيين وبين الزعامة الدينية للمذهب الكاثوليكي واليهود ابتداءً، ومن ثم المشروع الصهيوني وتأسيس دولة إسرائيل في الوقت الحاضر.

وهنالك في واقع الأمر جملة من النقاط العالقة في العلاقة بين الدينيين يتعلق الأول منها بمدى المشروعية التي يدعي بها كل طرف على حساب الطرف الأخر، فاليهودية تعد المسيحية بمثابة المذهب الديني الذي انشق عن اليهودية وبالتالي لا يمكن للمسيحية أن تدعي كما تبين نصوصها وراثتها أي وراثة اليهودية بل هي تيار ديني منشق، ولو قرانا ما ورد في التلمود من أثار تتعلق بالمسيح عليه السلام لوجدنا جملة من الأوصاف الشنيعة التي لا يمكن أن يتقبلها

العقل الإنساني.[14] وبالمقابل تركت هذه النظرة جملة من الآثار السلبية في العلاقة بين المسيحيين واليهود في أوربا تحديدا وهي معقل العالم المسيحي ولقد لعب الفاتيكان في واقع الأمر دورا كبيرا في تبني نظرة سلبية تجاه اليهود، فعلى سبيل المثال طُبقت على اليهود الموجودين في النمسا والمانيا قوانين تعود الى القرن الثالث عشر كانت قد اصدرتها الكنيسة الكاثوليكية وتقتضي بتحريم ظهور اليهود في طرقات المدن بدون وضع شارة اليهودي وفي حالة امتناع اليهودي عن تطبيق مثل هذا الاجراء يتعرض الى عقوبات قد تصل الى حد القتل، وكانت الشارة عبارة عن رقعة ملونة من القماش تُخاط على الملابس، واصبحت هذه الشارة دلالة على العار فيما بعد. واقيمت اسوار عالية حول الغيتوهات التي كان يقطنها اليهود في كثيرٍ من المدن الاوربية، وكانت ابواب هذه الاسوار تُقفل ليلاً واذا ما صادف وجود يهودي خارج الغيتو فأن وجوده هذا يعرضه في الاغلب الى الموت او دفع غرامة مالية اذا كان من الميسورين.[15]

لقد بقيت العلاقات بين الديانتين المسيحية واليهودية ولحقب طويلة من الزمن تدور في إطار من العداء والشك المتبادل ولم تخرج عن كونها نظرة مارستها ديانة كبيرة أمنت بتمثيلها وشرعية تمثيلها للعلاقة الأولى بين الله والأنسان وبين إتجاه ديني إنشق عنها وسلب عنها في تدعية من شرعية وقدسية، فمع الديانة الوليدة ما عاد شعب إسرائيل هو الشعب المختار بل غدت كل شعوب الأرض هي شعوب مختارة. كما لم تعد أرض فلسطين هي أرض الميعاد والخلاص النهائي بل كل مكان وصلت إليه البشارة الإنجيلية الجديدة وبالتالي كانت المسيحية بالنسبة لليهودية إتجاه (منحرف). يسعى إلى تقويض دعائم اليهودية والحلول محلها وبالتالي أيلولة تراثها الديني لصالح الدين الجديد وكانت هذه النظرة قد وسمت المؤرخين والمفكرين اليهود إبتداءاً من جوزيفيوس وحتى مؤرخ محدث ككلود مونتفيوري.[16] وبطبيعة الحال شاب هذه العلاقة المتوترة درجة عالية من الأضطهاد والغبن والذي مارسته السلطات المسيحية بعد أن غدت المسيحية ديناً رسمياً للأمبراطورية الرومانية إبتداءاً من عام 323 وحتى مطلع العصور الحديثة، ولاننسى أبداً محاكم التفتيش التي نصبتها السلطات الأسبانية الكاثوليكية ليهود إسبانيا بعد خروج العرب منها عام1492، وإذا ما كان الشكل السائد والغالب على أوربا في تلك المرحلة هو المذهب الكاثوليكي. كان من طبيعة الحال أن تعطي السلطات الدينية الكاثوليكية في تلك الحقبة نوعاً من المباركة والموافقة الضمنية على أعمال التضييق والتعذيب والتشريد وتصفية الأملاك التي لحقت باليهود بأعتبارهم الشعب الذي رفض النعمة الألهية وقاموا بصلب مسيحهم المخلص فكان كل هذا الغبن

والأضطهاد بمثابة جزاءاً أوفى لتنكرهم لمليكهم وفاديهم ودلالة حقيقية على الآية التي خاطب بها المسيح عدداً من القديسيين والأحبار اليهود بشأن إيلولة الميراث الروحي لغيرهم وذلك وفقاً لمثل "الكراميين" فقال أولئك الكرامون بعضهم لبعضٍ:-

"هوذا الوارث هلمُ نقتله، فيعود الميراث إلينا. فأمسكوه وقتلوه والقوه في خارج الكرم. فماذا يفعل ربُّ الكرم؟ يأتي ويهلك الكرامين، ويجعل الكرمَ لأخرين. فأجابه الفريسيون، حاشا وكلا إذ أدركوا إنه يعرض بهم في هذا المثل.[17] ورغم هذا الأضطهاد ووسمهم بالبخل وجمع المال والقسوة والرغبة بأختطاف الأطفال المسيحيين وقتلهم، كانت تبرز في أروقة كنيسة روما بين الفينة والأخرى أصوات تدعو إلى الرأفة والتعامل الحسن مع قرباء المسيح بالجسد وأهله وعشيرته، إلا إن هذه الأصوات ظلت حبيسة الأديرة أو الدوائر الدينية المغلقة ولم تخرج على السطح إلا لماما.[18]

وفي العصور الحديثة لم يحصل المشروع الصهيوني الذي كان يرمي إلى تحرير اليهود من إذلال " الأندماج " مع الشعوب الأوربية على أي شكل من أشكال المباركة، التأييد أو الدعم من القيادات الروحية الكاثوليكية، وعدُ المشروع الصهيوني برمته بمثابة مشروع علماني يحاول طمس وتزييف الحقائق الدينية والتاريخية والتي وردت بشأن مصير الأرض المقدسة والقدوم الثاني للمسيح. ولقد بدا بعد تكامل المشروع الصهيوني ورغبة الدول الأوربية العظمى بدعمه وإسناده وبعد حصول " المحرقة النازية " لليهود في المانيا والتي عجلت بتأسيس دولة إسرائيل، بدا إن الفاتيكان قد غدا أقل حدة في مواجهة المشروع اليهودي الإستيطاني وإذا ما كان يتناول قضايا الصراع العربي . الإسرائيلي فلم يركز دائماً على قضية حماية الحقوق والأمتيازات الخاصة بالمواقع الدينية المسيحية في أورشليم . القدس وسائر أراضي فلسطين. ولقد شهد العام1964حدثاً مهماً في تاريخ العلاقة بين الفاتيكان وإسرائيل تجسد بقيام البابا بولس السادس بزيارة إلى الأراضي المقدسة وكان ذلك بطبيعة الحال قبل إحتلالها على يد القوات الأسرائيلية في 5حزيران1967، وكانت زيارته قبل إنعقاد المؤتمر الفاتيكاني الثاني والذي تمخضت عنه جملة من القرارات سعت إلى إذابة الموقف والذي تراكم عبرالحقب الطوال بين الكنيسة الكاثوليكية والديانة اليهودية، ولقد صدر بالفعل نص حبري سعى لتبرئة اليهود مما تعده الكنيسة يداً في صلب السيد المسيح وفقاً للقرار الذي صدر عن المجمع الفاتيكاني الثاني والذي نص على:-

1. تقر الكنيسة بأن جذورها تذهب بعيداً في أرض إسرائيل القديمة، وتقرُ بذلك بدون شك إن جذور الكنيسة ترقى إلى الأسباط والأنبياء وخصوصاً إلى ذلك اليوم الذي دعي فيه إبراهيم ليخرج من بيت ابيه وليسير في طرائق الأيمان، كما إنها ترقى إلى تلك الساعة التي أختار الله فيها موسى ليخرج أبناء إسرائيل من أرض العبودية وليصل بهم إلى قرب أرض الميعاد.
2. والكنيسة برغم من إنها مؤسسة جديدة فأنها مستمرة مع إسرائيل القديمة في الوجود وإن هذا التأكيد ليس تعبيراً عن حقيقة تاريخية مجردة بل عن واقع يملأ وجود الكنيسة ووجود كل مسيحي ويعيش فيهما.
3. إن أوثق صلات الكنيسة بالشعب اليهودي كانت إنسانية المسيح. فالكنيسة لاتستطيع أن تنسى إن الله كما أصبح أخاً لبني البشر إختار أن يكون يهودياً. وبتعبير آخر إن مخلص العالم عاش ومات على أنه شخص يهودي ولاتستطيع الكنيسة أن تنسى أيضاً أن مريم العذراء كانت من بيت داوود وإن الرسل والحواريين كانوا من نسل إبراهيم. وإن هؤلاء جميعاً قد قضوا أيام طفولتهم بين أبناء بني إسرائيل .
4. ومع إن السكان القدامى في القدس كانوا كلهم من اليهود الذين آمنو بيسوع مسيحاً هادياً، فأن القسم الأكبر من الشعب لم يؤمن بيسوع مسيحاً. ولقد أستنتج أهل العصور الماضية من هذه الحقيقة ما يلي:-

بما إن اليهود بجملتهم لم يؤمنوا بيسوع مسيحاً، فأن جميع بني إسرائيل قد أخذوا بهذه الجريرة. والمجمع الفاتيكاني بعلن خلافاً لذلك بأنه من الخطأ أن يستنتج الإنسان من الكتاب المقدس مثل هذه النتيجة

5. وبالتالي فأن إتهام الشعب اليهودي برمته من عاش منه في الماضي ومن يعش اليوم بقتل المسيح فهو باطلٌ وإنسياق في الظلال وإرتكاب للظلم.[19] ورغم إن زيارة البابا بولس السادس لأسرائيل وللأراضي المقدسة كانت لأهداف دينية بحتة تجلت في رغبته بأعادة اللحمة بين الكنيستين الكاثوليكية الغربية والأرثذوكسية الشرقية، إذ لم يكن أمر إسرائيل والعلاقة معها إلا شيئاً ثانوياً، إلا إن هذه الزيارة تركت أثراً حسناً في مسيرة العلاقة بين الفاتيكان وإسرائيل، إذ عاود البابا زيارته لأسرائيل والأراضي المقدسة عام1973. والتقى بعدد كبير من المسؤولين الأسرائيليين رفيعي المستوى لعل من أبرزهم رئيسة الوزراء الأسرائيلية غولدا مائير، ولقد تحدث البابا عن ضرورة أن " يحل السلام في الشرق الأوسط وأن تكون

أورشليم القدس مدينة مقدسة وواحة سلام لابناء الديانات السماوية الثلاث، إلا إنه لم يسعى ولم يرغب في توثيق علاقته مع المنظمة الصهيونية العالمية أو القادة اليهود البارزين في العالم.[20] وعلى النقيض من ذلك كان للبابا يوحنا بولس الثاني رأي مختلف وتوجه يتناقض مع توجهات البابا بولس السادس والبابوات السابقين، إذ كانت أصوله البولندية ومجاورته لليهود وعلاقته معهم وتأثره بالذكريات المريرة والمؤلمة لمعسكر أوشيفيتز في بولندا والخاص بالمعتقلين اليهود من البولنديين وهو الأمر الذي أثار لديه نوع من التوجه العاطفي نحو القضية اليهودية بشكل عام. ولقد قام البابا يوحنا بولس الثاني بأول زيارة له إلى أورشليم عندما كان أسقف عام1963. وأثناء إنعقاد المجلس الفاتيكاني الثاني ولقد حط أولاً بالقاهرة ثم سافر بالبر إلى الأراضي المقدسة وزار المواقع المسيحية المقدسة في بيت لحم والناصرة والجليل. كما وصف تجربته الروحية أثناء زيارته لأورشليم وللحائط الغربي من الهيكل والذي وصفه بكونه مقدس (إنه بيت أبينا الذي في السموات). كما قام عام 1964 أي بعد عام من زيارته الأولى بزيارة أخرى مختصرة لأسرائيل، ولم يدلِ فيها بأي تصريحات أو تعليقات وكانت زيارتيه هاتين أثناء إنعقاد المؤتمر الفاتيكاني الثاني والذي تمخضت عنه القرارات الخاصة بالتبرئة.[21]

واما بعد انتخاب البابا بنديكت السادس عشر فقد وجدت الدوائر الدينية والسياسية اليهودية ان هنالك امكانية للتفاهم والتعاون مع البابا الجديد سيما وان عددا كبيرا من الدوائر السياسية اليهودية وجدت ان البابا الجديد له علاقة خاصة وحساسة مع اليهود اذ انه يتعاطف بشكل كبير مع اليهود ومع المعاناة التي واجهوها وذلك لكونه متحدر من عائلة كاثوليكية راسخة الاعتقاد ومعادية للفكر النازي وبالتالي اظهر قدرا من التعاطف مع المأسي التي تعرض لها اليهود وكذلك المحرقة التي واجهتهم في المانيا ومعسكرات الاعتقال في وسط اوربا، ومع ذلك فقد أظهرت بعض الاوساط اليهودية تحفظاً بعد اعتلائه السدة الرسولية اذ اظهر الحاخام جوناثان ساكس الحاخام الاكبر في انكلترا تحفظا تجاه قدرة البابا الجديد على امكانية مواصلة الطريق الذي سار عليه كل من البابا يوحنا الثالث والعشرين والبابا يوحنا بولس الثاني بخصوص تعميق العلاقات الودية مع اليهود ومع إسرائيل، كما بين وزير الخارجية الاسرائيلي مباركة مشروطة لانتخاب البابا بنديكت السادس عشر وأمل ان تؤدي تجربته المريرة داخل صفوف الشبيبة النازية ومعاصرته لاحداث

جسام خلال الحرب العالمية الثانية ان تُفضي الى كفاحٍ ضد اي مشاعر معادية للسامية والمقصود بها بطبيعة الحال اي مشاعر معادية لليهود.[22]

ولقد استهل البابا بنديكت السادس عشر حبريته بزيارة مجمع كولجين الديني اليهودي، وتحدث فيه مع ابرز زعامات الطائفة اليهودية في ايطاليا، وأدان خلال هذا اللقاء الايدلوجية النازية والتي عدها ايدلوجيةً غير منطقية، كما ابدى التزامه بتقوية وتنشيط روابط العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود.[23] ولكن وعلى الرغم من مشاعر المباركة والتأييد التي تلقاها البابا من الدوائر الدينية والسياسية اليهودية الا ان دوائر سياسية عديدة داخل إسرائيل انتقدت موقفه والذي لم يتبنى فيه الرأي الخاص باعتبار دولة إسرائيل واحدة من ضحايا الارهاب.[24]

كما قام البابا في العام 2006 بزيارة معسكر اوشفيتز والذي اكد من خلاله على الروابط التاريخية التي تجمع اليهود بالمسيحية. واشار الى ان الهدف الذي كانت تسعى اليه النازية الا وهو تدمير اسرائيل، ولقد عنى البابا بتدمير اسرائيل معنى روحيا وامتداد هذا المفهوم في الاطار الزمني المعاصر لاسرائيل كدولة، وتدمير إسرائيل يعني فيما يعنيه تدمير وتحطيم الاسس الروحية للمسيحية واستبدالها بعقيدة جديدة من اختراع بشري.[25] ورغم حفاوة الاستقبال الذي لقيه البابا الا ان أحد الحاخامات تساءل عما اذا كان البابا قادر على احداث تغيير في طبيعة العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية وإسرائيل وما هو الجديد الذي سوف يأتي به، وطرح هذا الحاخام ان اي علاقة بين الفاتيكان واسرائيل او الكنيسة الكاثوليكية واليهود سوف تبنى على مواقف وسياسات سادت في الماضي ولكنها سوف تتاثر حتما بمجريات الحاضر، سيما وان المنظور الذي يؤمن به البابا يقوم على العطاء المتقابل.[26]

ولقد كانت المائة يوم الاولى من حبرية البابا بنديكت السادس عشر بشارة خير بالنسبة لليهود ولقد عبر عن هذه الفكرة الحاخام غاري غيرناتور:" بأن كل الحقائق على الارض تشير إلى ان البابا الجديد سوف يعمل على تحسين وتطوير العلاقات بين اسرائيل واليهود بشكل عام وبين الكنيسة الكاثوليكية والتي بدأت قبل اربعين عاماً خلت اي منذ عقد المجمع الفاتيكاني الثاني كما تعد مسيرة البابا الجديد استكمالا لمسيرة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني والتي يأمل اليهود ان تتطور اكثر خلال الحبرية الجديدة. وكالتفاتة من البابا تجاه اليهود عمد إلى مباركة الحاخام جاكوب نانسر والذي كتب حول العلاقات التي تربط بين اليهودية والاديان الاخرى ووضع كتاب كان بعنوان(الحاخام يتكلم مع يسوع) والذي صدر في فيلادلفيا في العام 1993 والذي تُرجم إلى

عدةٍ من اللغات منها الالمانية والايطالية والسويدية، ولقد حاول مؤلفه تأسيس قاعدة للحوار الايجابي بين اليهودية والمسيحية، ولقد حظى نانسر بلقب الحاخام المُفضل عند البابا ولقد اشار البابا الى نانسر في كتابه يسوع الناصري إلى كتاب نانسر الانف الذكر وعده بمثابة اهم كتاب يؤسس لحوار متواصل بين الكاثوليك واليهود الف خلال العقد الاخير من القرن العشرين.[27]

كما قام البابا بزيارة الكنيس اليهودي في نيويورك عشية عيد الفصح عام 2008 ولقد عبر رابي المجمع اليهودي اثناء الزيارة البابوية بالقول بإن زيارة البابا تأتي كالتفاتة منه تجاه أكبر تجمع يهودي في العالم خارج إسرائيل وهي رسالة واضحة جداً لليهود وللكاثوليك ولكل المسيحيين، بإننا جميعا في ذات المركب، وان لدينا الاهتمامات المُشتركة التي تشغل وجودنا كاعضاء في الاسرة الانسانية.[28]

وعلى الرغم من المشاعر الودية التي ابداها البابا لابناء وقيادات الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة الا انه لم يسلم من النقد سيما بعد ان سعى الى تطويب ومن ثم اعلان البابا بيوس الثاني عشر قديساً، ومن المعرف ان الحقبة الحبرية لهذا البابا قد تزامنت مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وكان موقفه اثنائها من القضايا التي عدت حرجة في العلاقات اليهودية الكاثوليكية اذ وقف موقفا سلبيا تجاه الاضطهادات التي لحقت باليهود في المانيا وفي وسط اوربا كما اغمض عينه تجاه سياسات هتلر تجاه اليهود ولم يبد اي ادانةٍ واضحة للمجازر التي تعرض لها اليهود، ولقد رد البابا على الموقف اليهودي بالقول بان البابا بيوس الثاني عشر قد عمل بطريقةٍ سريةٍ وصامتة لانه كان واعيا لدقة وحراجة الحقبة التي تولى فيها المسند الرسولي، ووجد ان سياسته تمثل الطريقة المثلى لتجنيب اليهود الكثير من المأسي وتحفظ ارواح العديد منهم.[29]

وبرزت مُشكلة اخرى تتعلق بالعلاقة بين اليهود والبابا بنديكت السادس عشر وتجلت هذه المُشكلة بوجود جمعية كهنوتية تُعرف باسم جمعية البابا بيوس العاشر والتي دعا عدد من أعضائها من القساوسة والاساقفة إلى ايقاف اي حواراتٍ او علاقات مع اليهود او اسرائيل ونبذ اي حوار لاهوتي يقوم على تبرئة او التعاطف مع اليهود بل ان هذه الجمعية عُرفت ايضا بادائها صلوات يومية تقوم من خلال هذه الصلوات بصب اللعنات على اليهود وتدعو لاستنزال اللعنات الالهية عليهم. ولقد وجدت الدوائر الدينية اليهودية بان البابا لم يقم بدور فاعل لالغاء هذه الجمعية او على الاقل تغيير منهجيتها وسياستها العدائية المعلنة تجاه اليهود.[30]

وبرزت على السطح ايضا مشكلة اخرى تتعلق بالموقف الذي اتخذه الاسقف ريتشارد وليمسون والذي أنكر وبشكل قاطعٍ وجود اي معسكرات لاعتقال اليهود او ان مثل هذه المعسكرات ان وجدت قد تم فيها استخدام الغاز كاداةٍ للابادة، ولقد أثارت تصريحاته هذه حفيظة الدوائر الدينية والسياسية اليهودية ولقد عبرت الوكالة اليهودية ومنظمة ياد فاشيم وايلي ويزل احدى الناجيات من معسكرات الاعتقال النازية والحاصلة على جائزة نوبل للسلام عن السخط والاستنكار لتصريحات وليمسون. ولقد طالب الحاخام الاكبر في إسرائيل بقطع كل العلاقات مع الفاتيكان، كما دعت المُستشارة الالمانية انجيلا ميركل البابا إلى اتخاذ موقف واضح وصريح تجاه الاشخاص الذين ينكرون المحرقة النازية.[31]

ولقد رد المتحدث الرسمي باسم الفاتيكان الاب فيريدريكو لامباردي على المواقف الاسرائيلية واليهودية بشكل عام بان الحبر الاعظم قد ابدى موقفه الخاص تجاه المحرقة النازية اثناء زيارته لمجمع كولجين الديني واثناء قيامه بزيارة النصب التذكاري لمعسكر اوشفيتز والذي حصلت فيه المحرقة النازية، كما اشار الى ان هنالك بعض المواقف الفردية التي يقفها رجال الكنيسة او المنتمين للحظيرة الكاثوليكية ولايتحمل مسؤوليتها البابا او الفاتيكان باي حالٍ من الاحوال، ولقد دافع المونسنيور روبرت ويستر استاذ التاريخ الكنسي في جامعة سيتون هول في نيوجرسي عن الموقف البابوي بالقول بان تكذيب المحرقة او القول بعدم حصولها لا يعني ان الشخص الذي صرح بذلك قد عُد او يمكن ان يُعد مهرطقاً بل يعد كاذباً، كما اكد المتحدث باسم الفاتيكان على الموقف الذي اتخذه البابا سابقا ويتمسك به في كل الاحوال والذي يقوم على ادانة اي شكلٍ من اشكال العداء الموجه ضد السامية، كما اعلن الكرسي الرسولي كافة اشكال التضامن والتعاطف مع اليهود، كما تم الاعلان بعدم معرفة البابا بالموقف الذي اتخذه وليمسون. ولقد ادى الموقف الدفاعي الذي وقفه الفاتيكان الى اعلان رئيس منظمة ياد فاشيم في اسرائيل بان السلطة الاخلاقية التي تمثلها زعامة الكنيسة الكاثوليكية قد ادانت اي انكار للمحرقة النازية وفي ادانتها هذه رسالةُ للعالم اجمع بحجم ما عاناه اليهود من اضطهاد .[32]

كما دعت بعض الزعامات الروحية اليهودية البابا الى العمل على الغاء او تعديل نص الصلاة التي تتلى في يوم الجمعة العظيمة ذكرى صلب السيد المسيح(عليه السلام)، والتي تتضمن دعوات لهداية اليهود الذين انكروا يسوع مسيحاً وهادياً وتتضمن الصلوات النص التالي:"دعونا نصلي وندعو ايضا من أجل هداية اليهود والذين ندعو العلي القدير من أجل ان يرفع الغل والحقد

من قلوبهم؛ وليعترفوا بربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وندعو الله ان لايطرد من رحمته اليهود، وأن يستمع لصلواتنا وان يخرج اليهود من الظلام وان يعترفوا بنور الحقيقة الالهية، والتي تجسدت بالمسيح، والذي اتحد مع الاب والروح القدس اله واحد احد امين.[33] ولقد عدت هذه الصلوات بمثابة تراجع عن نص التبرئة والذي صدر في العام 1965 والذي تم من خلاله تبرئة اليهود من تهمة صلب المسيح ودشن مرحلة جديدة من العلاقات بين الكاثوليك واليهود، ولقد صدر مرسوم بابوي في العام 2008 يتضمن تعديل بعض الفقرات في صلاة يوم الجمعة العظيمة.[34]

كما وقفت الدوائر السياسية الاسرائيلية موقفا متشداً تجاه المجمع الكنسي(السنودس) الخاص بالكنائس الكاثوليكية في الشرق الاوسط والذي عُقد في الفاتيكان والذي ضم (170) اسقفا كاثوليكيا يمثلون جميع كنائس الشرق الاوسط والذي ورد في بيانه الختامي تاكيد على حق الفلسطينيين في تكوين دولةٍ خاصة بهم وضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية، وطالب المؤتمرون الهيئات الدولية سيما الامم المتحدة على العمل على إيجاد حل عادلٍ وشامل

في المنطقة، كمت اشار البيان الختامي بانه لا يمكن بأي حالٍ من الاحوال تفسير اي نص بابوي او تفسير معين من تفاسير الكتاب المقدس بشكل يُفضي الى الاعتقاد بان هنالك ضرورة حتمية لعودة اليهود إلى اسرائيل او تبرير مثل هذه العودة وسلب الفلسطينين حقوقهم في اراضيهم، وورد بالنص:" نحن كمسيحيين لا يمكننا ان نتحدث عن أرضٍ موعودة تخص الشعب اليهودي حصراً. ذلك ان مثل هذه الارض الموعودة أضحت متحققة ببشارة المسيح، فلم يعد هنالك شعب مختار، فكل البشر هم في واقع الامر شعوب مُختارة.[35]

كما ابدى اعضاء السنودس تعاطفهم وتضامنهم مع الشعب الفلسطيني والذي عانى ويعاني من جراء سياسات الاحتلال الاسرائيلي سيما في مجال التضييق على حركتهم او التضييق على حقهم في التعبير عن أرائهم نتيجة الاجراءات العسكرية والبوليسية المتجسدة في تشييد الجدار العازل او وضع نقاط التفتيش الاسرائيلية، وكذلك وجود عدد كبير من المعتقلين والمُحتجزين الفلسطينيين، وتهديم المنازل ومصادرة الاراضي، وتدمير الحياة الاقتصادية والاجتماعية لالافٍ من اللاجئين. ومن ثم دعا اعضاء المجلس الكنسي اسرائيل إلى البحث عن حل سلمي عادل وشامل بما يعود بالفائدة على كل شعوب المنطقة.[36]

ولقد ردت وزارة الخارجية الاسرائيلية على البيان الختامي لمجلس كنائس الشرق الاوسط عن استيائها من بيانات المجلس والتي عدتها نكوصاً عن الطابع البين للعلاقة بين الكنيسة

الكاثوليكية وإسرائيل ذلك إن هذا المجلس قد أضحى بمثابة ميدانٍ للهجوم على إسرائيل والتنديد بسياستها.[37]

ولقد طالب نائب وزير الخارجية الاسرائيلي داني يعالون الفاتيكان بالتنديد بالتصريحات التي أطلقها مجلس كنائس الشرق الاوسط، ولقد رد البابا على تصريحات يعالون بالقول:" ان مبدأ السلام في منطقة الشرق الاوسط هو حلم قابل للتحقق، وهو في الوقت ذاته مسألة مُلحة أذ لا يمكن عزله عن الحاجات التي تدفع نحو تكامل الانسان الروحي والخلقي.[38]

العلاقات مع إسرائيل:

لقد سعى البابا بنديكت السادس عشر الى تحسين علاقات الفاتيكان مع اسرائيل ومتابعة الخطوات التي بدأها أسلافه سيما البابا يوحنا بولس الثاني على صعيد تمتين العلاقة مع تل ابيب، ولقد وصف سفير إسرائيل في البلاط الرسولي الاجواء الخاصة بالعلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل بالاجواء الطيبة التي تدعو الى مزيد من التعاون والتنسيق، رغم ان هذه العلاقات شابعا شيء من الفتور سيما بعد ان اعلن الكاردينال روتينو مارتينو ان الوضع في قطاع غزة "يماثل وضع معسكر اعتقال كبير قد احتجز فيه شعب باكمله" ولم يطل الوقت حتى اعلن البابا رغبته بزيارة إسرائيل في العام 2009 للتاكيد على الجذور المشتركة التي تربط بين المسيحية واليهودية والاسلام، كما أعلن المُتحدث باسمه ان حج البابا الى الاراضي المقدسة يأتي للتأكيد على الروابط المشتركة والتي لايمكن باي حال ان تفك عراها بين الكنيسة المسيحية والشعب اليهودي.[39]

ولقد كان البرنامج الذي اعده الفاتيكان يتضمن وصول البابا الى مشارف الارض المقدسة من جهة البحر الميت وفي ذلك تذكير بالموقف الذي وقفه موسى على نهر الاردن واطل من خلاله على أرض الميعاد.[40]

ولقد استعدت الحكومة الاسرائيلية لاستقبال الزيارة البابوية واستهلت استعدادها باصدار موقع خاص يتناول الزيارة وصدر هذا الموقع بثمان لغاتٍ حية وهي الانكليزية،والفرنسية،والاسبانية،والبرتغالية، والبولندية،والايطالية،والالمانية، والعبرية. وتضمن الموقع ايضا جدولا باعمال الزيارة البابوية، وطبيعة العلاقات التي تربط الفاتيكان بإسرائيل وحجم الطوائف المسيحية في إسرائيل والاماكن المسيحية المقدسة في اسرائيل.

ولقد استهل البابا زيارته بالقاء خطاب في المتحف الخاص بذكرى المحرقة النازية(ياد فاشيم) والذي عبر من خلاله عن مواساته وتعاطفه مع ملايين اليهود الذين قضوا في محارق

الغاز ، ورغم خطابه الا انه لم يذكر مسؤولية الكنيسة الكاثوليكية عن الهولوكست، او يستخدم عبارات مثل الاضطهاد النازي او الالماني او استعمال وصف القتلة للجيش الالماني او لاجهزة الامن الالمانية، كما لم يتعرض لدوره في صفوف الشبيبة النازية حينما كان يافعاً. ولقد رفض البابا الدخول في المتحف او ان يمضي الى نهايته وذلك لوجود صورة للبابا بيوس الثاني عشر تدينه باعتباره مسؤولا عن المحرقة النازية اذ لم يحرك ساكناً تجاه المآسي التي عاناها اليهود.[41] ولاحظ المتابعون للخطاب البابوي بان الحبر الاعظم وصف المأسي التي تعرض لها اليهود بأنها جاءت على يد نظام شرير بعيد عن الرحمة الالهية، بدون ان يضيف الصفة القومية او الايدلوجية لهذا النظام.

ورغم بعض الانطباعات السلبية التي خرجت بها بعض الاقلام الاسرائيلية عن الزيارة البابوية الان الرأي الذي ساد في الاوساط السياسية عموماً ولدى المجلس العالمي اليهودي بشكلٍ خاص بان زيارته هذه تُعد بمثابة الحجر الاساس في تطوير وتنمية العلاقات الكاثوليكية اليهودية.[42]

الفاتيكان والموقف من القدس:

لقد حاولت زعامة الكنيسة الكاثوليكية السيطرة على المدينة المقدسة منذ حقبة الحروب الصليبية، وكان الاعتقاد السائد داخل الدوائر الدينية الكاثوليكية بان أي عودة ثانية للمسيح الى الارض ينبغي ان يرافقها امتلاك المسيحيين للمدينة المقدسة وضرورة قيادة وتوجيه العالم عن طريقها. ولكن التطورات التاريخية التي سبقت الحروب الصليبية ورافقتها والفشل في السيطرة على المدينة فضلا عن ان المدينة أضحت موضع تقديس واحترام لدى كل من الاديان السماوية التوحيدية الثلاث المسيحية والإسلام واليهودية، الأمر الذي جعل الوضع الخاص بالمدينة مقياسا لمدى السلام والاستقرار في العالم بأسره، كما أصبحت مفتاحا لحل الصراع في منطقة الشرق الأوسط.

وبالمقابل فأن إسرائيل تسعى للتأكيد على هيمنتها على القدس والإعلان عن كونها عاصمة أبدية لإسرائيل باعتبارها دولة تشق طريقها وسط مجموعة من الامم في الشرق الاوسط وتحاول الحكومة الإسرائيلية وكذلك الهيئات وجماعات الضغط الاسرائيلية الموجودة في اوروبا والولايات المتحدة للترويج لمبدأ السيادة الإسرائيلية على المدينة المقدسة وعَد اعتراف العالم والنطاق الاقليمي بهذه السيادة بمثابة مفتاح لحل الصراع والنزاع في الشرق الاوسط. كما تؤمن الأوساط

الدينية اليهودية المتشددة بأن ظهور المسيح الحقيقي سيكون في أورشليم التي يفترض أن يعاد فيها بناء الهيكل الثالث لشعب إسرائيل أي إعادة أمجاد هيكل سليمان ودولة إسرائيل القديمة.

لقد سعى الفاتيكان ومنذ احتلال اسرائيل لكامل القدس عام 1967 الى السعي للاشراف على المدينة المقدسة ذلك الى رغبة الكنيسة وسعيها للحفاظ على الممتلكات والكنائس التي تمتلكها وتشرف عليها في هذا الجزء من المدينة المقدسة وبطبيعة الحال فأن تأكيد الكنيسة على هذا الجزء من المدينة سوف يؤدي الى حقها في بناء وتشييد ما تشاء من مؤسسات وممتلكات على جبل صهيون وهو ما يشكل مسا واضحا بالمشاعر الدينية اليهودية. ولعل الاتفاق السري الذي وقعه الجانب الاسرائيلي ممثلا بيوسي بيلين وشمعون بيريز مع الفاتيكان وقضى بمنح الفاتيكان مكانة مميزة ليس فقط في الممتلكات التي تخص الكنيسة الكاثوليكية بل بالسيطرة على كامل الأجزاء القديمة من المدينة وذلك بأشراف من الأمم المتحدة. ولابد من التذكير بأن هذا الاتفاق السري قد تم تصديقه والاعتراف بمشروعيته القانونية ممن لدن الكنيست الإسرائيلي والحكومة الإسرائيلية في 30 كانون الأول ديسمبر 1993. وبمحتوى هذا الاتفاق تخلى اليهود عن اي اشراف على المدينة القديمة، وبطبيعة الحال فأن مثل هذا الحل سوف يؤدي الى نشوب مشاكل ونزاعات بين الكرسي الرسولي ودولة إسرائيل وان لم يتم هذا في الوقت الحاضر فسوف سيترك أثاره في المستقبل.[43]

موقف البابا بنديكت السادس عشر من قضية القدس

لابد من القول ان الباب بنديكتوس السادس عشر والذي كان اشرافه على الجهاز الاداري والارشيفي للفاتيكان واحدا من العوامل التي دفعت الى تفهمه الكامل لقضية القدس والصراع الدائر بشأنها فقد اوفده البابا السابق يوحنا بولس الثاني عام 1992 لزيارة القدس وكانت تلك الزيارة بمثابة اول زيارة يقوم بها مسؤول بابوي رفيع المستوى لدولة اسرائيل.

ولابد من التذكير بالتوجه الفكري الذي يميز البابا بنديكتوس السادس عشر وهو طابع المحافظة والتقليدية بمعنى انه يسعى للمحافظة على الاتجاهات والرؤى التي ارساها البابا يوحنا بولس الثاني ومن قبله البابا بولس السادس، ورغم ان انتخابه لم يلقى ترحابا في اسرائيل وذلك بعد ان ذكرت الصحف الاسرائيلية بأن البابا الجديد قد قضى فترة مراهقته متدربا في صفوف المنظمات الشبابية النازية، الامر الذي دعاه الى الدفاع عن تجربته في تلك الحقبة بأنها كانت مفروضة عليه كما هو الحال مع ابناء جيله من الالمان.

كما ادانت بعض القيادات الاسرائيلية موقف البابا بنديكتوس السادس عشر والذي قام على رفع الحرمان الكنسي عن اسقف بريطاني كاثوليكي انكر وجود المحرقة النازية او ما يعرف باسم الهولوكست.

كما نوهت الدوائر السياسية الاسرائيلية وكذلك الزعامات الروحية اليهودية في الغرب بضرورة ان يقوم البابا الجديد بما من شأنه ازالة اي شبهات قد تنال من سمعته كمحبذ لمبدأ العداء للسامية او كره اليهود ولقد وجدت بعض هذه الدوائر في ابقاء البابا على جمعية تعرف باسم جمعية بيوس العاشر وهي الجمعية التي تناولنا دورها ومبادئها في المبحث الثاني من هذا البحث؛ والتي تقوم بتلاوة صلوات اسبوعية تصب فيها اللعنات على اليهود وتعد مكانهم الطبيعي هو دركات الجحيم، نوعا من ابقاء مشاعر العداء نحو اليهودية سائدة في اروقة الكنيسة الكاثوليكية.

ولقد سعى البابا اثناء زيارته الاخيرة للاراضي الفلسطينية الى ازالة ما علق لدى عدد من القيادات العربية والاسلامية بشأن تصريحاته التي عدت معادية للاسلام اثناء القائه محاضرة في جامعة ريغنسبورغ في المانيا عام 2006 وكانت زيارته للاراضي الفلسطينية ولاسرائيل بمثابة ثاني زيارة يقوم بها المتربع على كرسي بطرس منذ زيارة البابا يوحنا بولس الثاني عام 2000 ويستطيع اي متتبع للتصريحات التي ادلى بها البابا في هذه الزيارة ان يلاحظ الموقف الدفاعي الذي تبناه تجاه الاتهامات الاسرائيلية له وللفاتيكان بدعم المواقف المعادية لليهود فقد كرر في اكثر من موقف ولاسيما اثناء زيارته لنصب المحرقة و لحائط المبكى عن ادانته للمحرقة النازية وعلى ضرورة ان تبقى ذكريات المحرقة محفورة في الذاكرة الانسانية وادان من يحاول نسيانها او الادعاء بعدم حدوثها.

وبالمقابل فقد طالبت القيادات الشعبية المسيحية البابا بعدم الاكتفاء بادانة المحرقة النازية والتي جرت قبل حوالي ستين عاما وانما ادانة المحرقة التي جرت في غزة كما عدت هذه القيادات زيارة البابا ولقائه مع المسؤولين الاسرائيليين بمثابة تبرئة للجرائم التي مارسها القادة الاسرائيلون اثناء الحرب.

كما دعا البابا اثناء هذه الزيارة الى ضرورة قيام دولتين تضم الشعبين الفلسطيني واليهودي وهو الامر الذي جعله بمثابة المبشر لوجود دولة يهودية عنصرية تستلب حقوق المكونات الاخرى الموجودة في اسرائيل.

ولابد من التذكير أساسا بان الموقف الذي تبناه الفاتيكان منذ بداية المشروع الصهيوني والهجرة اليهودية المنظمة لارض فلسطين هي الدعوة لان تكون مدينة القدس مدينة مفتوحة لاتباع الديانات الثلاث مع تجنب ادانة اي اجراءات قامت بها الحركة الصهيونية اثناء مرحلة الانتداب او بعده.[44]

ولابد من القول ان الفاتيكان وقف بشكل عام موقفا سلبيا تجاه ما تعرض له مسيحيوا فلسطين والاراضي المقدسة ناهيك عن سكوته تجاه التجاوزات التي طالت وتطال المقدسات المسيحية في القدس ولم يقم بالدور الذي يفترض ان تقوم به جهة ذات تأثير روحي وفكري وعقائدي على ملاين المسيحيين في العالم.[45]

الخاتمة والاستنتاجات

يُعد تناول طبيعة العلاقات الموجودة بين الفاتيكان واليهود بشكلٍ عام وإسرائيل بشكلٍ خاص واحدا من النقاط الفارقة في العلاقات التي تربط الفاتيكان بالاديان الاخرى او واحدة من دول العالم وتعود مثل هذه العلاقة الخاصة الى الطبيعة الخاصة بالفاتيكان ككيان سياسي يتولى الزعامة الروحية لمليار كاثوليكي في العالم وكرأس للكنيسة الكاثوليكية، وكذا الحال بالنسبة للطبيعة الخاصة بإسرائيل ككيان يدعي تمثيل اليهود في كافة انحاء العالم ويعمل على ضمان الوجود السياسي والروحي للديانة اليهودية، ولقد نشأت جملة من التفاعلات بين الفاتيكان وإسرائيل كانت حصيلةً لحقبٍ طويلة من الصراع والمواقف المتشددة والاضطهاد المتبادل بين الطرفين حتى تغير مثل هذا الموقف في مطلع العصور الحديثة او بعد تأسيس دولة إسرائيل لو توخينا الدقة التاريخية، ولقد تمخضت مثل هذه التغييرات عن تراجع الفاتيكان عن الكثير من مواقفه تجاه اليهود وتجاه نشوء دولة إسرائيل وكان من الادلة البارزة على تراجع الفاتيكان عن مواقفه السابقة اصداره القرارت الخاصة بتبرئة اليهود من كل وزر يتعلق بصلبهم لمسيح او انكارهم له بدون ان يقابل مثل هذه التبرئة تغيير في الموقف اليهودي تجاه الدين المسيحي او تجاه قضية صلب السيد المسيح او انكار الطابع الخلاصي للديانة المسيحية. ولقد بدا ان الفاتيكان سيما خلال عهدي البابا يوحنا بولس الثاني والبابا بنديكت السادس عشر ساعيا الى مجاملة اليهود والوجود الاسرائيلي في فلسطين الى درجة تناقضت مع الطابع اللاهوتي الصارم والمحافظ والذي يميز رؤاه اللاهوتية المتشددة التي لاترى سبيلا لخلاص الا من خلال المسيح ومن خلال الكنيسة الكاثوليكية. ويبدو ان مثل هذه المواقف البابوية تعود إلى سعيه الى غرس مبدأ يُعرف باسم زرع المسيح في إسرائيل بدلا من محاولة تحويل اليهود الى مسيحيين او حثهم على الاقل بالقبول بالرؤى المسيحية الخاصة بنزول المسيح على الارض وعدم الرجاء من انتظار مسيح مخلص اخر، ويدرك الاسرائيليون حجم ما يمتلكه البابا والفاتيكان من نفوذ في الدوائر السياسية والعالمية وبالتالي فهم يحاولون كسب وده ومحاولة تغيير النظرة الخاصة باليهود والتي سادت الاوساط المسيحية لقرونٍ طوال وبالمقابل يسعى الفاتيكان الى اظهار اقصى درجة من درجات المجاملة وغض الطرف عن الكثير من المواقف الاسرائيلية حتى تلك التي تتعلق باغتصاب وتدمير الممتلكات المسيحية في القدس وسائر الاراضي المقدسة. وهنا قد يُطرح سؤال مفاده ما الذي يخشاه الفاتيكان من اليهود ومن الدوائر السياسية الاسرائيلية حتى يندرج في اطار حملة من

الدفاع عن اليهود ووضع الكنيسة الكاثوليكية في موقف دفاعي دائم وتبريري يسعى الى كسب ود اليهود، ومع كل هذه المواقف الايجابية التي وقفها الفاتيكان لاتزال الدوائر الدينية والسياسية اليهودية والاسرائيلية تنظر بعين الريبة والشك أزاء الموقف الحقيقي للفاتيكان، كما تتمسك بادنى النقاط التي يراد منها الاشارة الى ان الفاتيكان والدوائر الدينية الكاثوليكية تنظر بعداءٍ وإمتهان لليهود ولتراثهم الروحي ولاحقيتهم في ارض فلسطين.

وكما نوهنا في بحثنا السابق عن العلاقات التي ربطت بين إسرائيل والفاتيكان خلال عهد البابا الراحل يوحنا بولس الثاني الى ان ما سنه البابا يوحنا بولس الثاني من أسس خاصة بتمتين العلائق بين الفاتيكان واسرائيل سوف تستمر وتتوطد في عهد خلفائه من البابوات وهو ما حصل فعلا.

ولقد اثر الباحث ان يتم التطرق إلى الموقف الخاص بالفاتيكان تجاه مدينة القدس اذ يُعد مصيرها واحداً من النقاط الحساسة التي تتقاطع بشأنها مواقف الفاتيكان مع المواقف الاسرائيلية، اذ يسعى الفاتيكان إلى ضمان الاعتراف بحقه على الاشراف على البقع المسيحية المقدسة في فلسطين وضمان عدم المساس بها من لدن السلطات الاسرائيلية، وهو الامر الذي يتناقض مع الرغبة الاسرائيلية بالاعتراف برمزية روحية للفاتيكان دون ان تعني مثل هذه الرمزية اشرافاً زمنيا او هيمنة سياسية على الاماكن المقدسة. ولابد من القول ان مسألة الخلاف على القدس تُعد واحدة من النقاط العالقة بين الطرفين ولايمكن حسمها على المدى القريب، كما يمكن استنتاج حقيقة أساسية من سعي الفاتيكان الحثيث نحو تمتين العلاقات مع إسرائيل تجلى باهمال الطرف العربي الاسلامي وعدم احترام مشاعره الدينية وحقوقه ومكتسباته في ارضه، ولو نظرنا الى حجم الاعتذار الذي قدمه ويقدمه الفاتيكان لاسرائيل مقارنة بمقدار ما تم الاعتذار عنه للعالم الاسلامي تجاه تصريحات البابا المسيئة للرسول الكريم(صلى الله عليه واله وسلم) وللدين الاسلامي لوجدنا ان الفرق شاسعُ بين طريقة ونوع الاعتذار، مع السعي لاغفال الحقوق الاسلامية في القدس والتي بدأت إسرائيل بسلبها وقضمها شيئاً فشيئاً.

قائمة المصادر والهوامش

1- اللغة العربية

الكتاب المقدس، العهد الجديد

- البان ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفشيوس الى توينبي، ترجمة ذوقان قرقوط، دار العلم، بيروت، 1972
- فراس السواح، موسوعة الاديان والمذاهب، الكتاب الخامس، الزرادشتية، المانوية واليهودية والمسيحية، دمشق،دار علاء الدين، ط2 2010
- عمر فروخ ومصطفى خالدي، التبشير والاستعمار في البلدان العربية، بيروت دار العلم للملايين، 1972
- محمد عمارة، الفاتيكان والاسلام، اهي حماقة ام عداء له تاريخ، القاهرة، دار الشروق الدولية، 2006
- ليندسي جونز وجوناثان اسرائيل واسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية، دراسة في التاريخ والمعتقدات، ترجمة :علاء عبد الرزاق، دمشق، دار رند،2010

الدوريات:

1- علاء عبد الرزاق، العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل خلال عهد البابا يوحنا بولس الثاني (1978-2005)، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، 2008

2- علاء عبد الرزاق، التهديدات التي تطال المقدسات المسيحية في القدس، ورقة مقدمة الى المؤتمر العلمي الخامس لمركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد، 2009

3- موقف اسرائيل من انتخاب البابا الجديد، مشاعر غبطة وارتياب بماضٍ بعيد، ترجمة، علاء عبد الرزاق، سلسلة النشرات المترجمة، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد،2006

4- جويل بينرمان، الفاتيكان والقدس، الجذور التاريخية للموقف والتطورات المعاصرة، ترجمة علاء عبد الرزاق، سلسلة نشرات مترجمة، مركز الدراسات الفلسطينية،2006

المصادر باللغة الانكليزية :

1- الكتب

1-Allen John, The Rise of Benedict XVI: The Inside Story of How the Pope Was Elected and Where He Will Take the Catholic Church. NY: Doubleday, 2005

2-- Bardazzi, Marco. In the Vineyard of the Lord : The Life, Faith, and Teachings of Joseph Ratzinger, Pope Benedict XVI. New York: Rizzoli International, 2005.

3-Carlton.Hayes,Modern Europe to1870,Newyork,Macmillan.company .fifth edition,1959

4-Greg Tobi . Holy Father: Pope Benedict XVI: Pontiff for a New Era. Sterling, 2005.
5- Allen John, The Rise of Benedict XVI: The Inside Story of How the Pope Was Elected and Where He Will Take the Catholic Church. NY: Doubleday, 2005.pp:24-25
6- Ibid,p:26
7- Allen, John L. Pope Benedict XVI: A Biography of Joseph Ratzinger. New York: Continuum International Publishing Group, 2005pp:62-63.
8- Ibid
9- Ibid
10- Bardazzi, Marco. In the Vineyard of the Lord : The Life, Faith, and Teachings of Joseph Ratzinger, Pope Benedict XVI. New York: Rizzoli International, 2005,pp:43-44
11- Allen John, Biography of Pope Benedict xvi, op.cit,
12- Ibid
13. www.vatican information center, His Holiness Pope Benedict XVI bilography.[1]
Allen, John L. Pope Benedict XVI: A Biography of Joseph Ratzinger. New York: Continuum International Publishing Group, 2005.وللتفصيل اكثر عن حياة ومواقف وفلسفة البابا بنديكت السادس عشر انظر:
14- www.wekepedia, Pope Benedict XVI
15- Ibid
16- *.Ibid*
17- حول هذه النقطة بالذات وللتفصيل اكثر عن مواقف البابا بنديكت السادس عشر الفكرية، انظر: محمد عمارة، الفاتيكان والاسلام، اهي حماقة ام عداء له تاريخ، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية،2006.
18- للتفصيل عن هذه النظرة: انظر، ليندسي جونز، جوناثان إسرائيل، وإسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية دراسة في التاريخ والمعتقدات والفلسفة السياسية والأخلاقية، ترجمة علاء عبد الرزاق، دمشق، دار رند للطباعة والنشر، 2011،ص
19- حول هذه النقطة بالذات انظر: فراس السواح،(محرر) موسوعة تاريخ الاديان، الكتاب الخامس،دمشق،دار علاء الدين، ط(2)،2010،ص:197.
20- البان –ج ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت،دار
العلم،1972،ص129-130.
21- إنجيل مرقس/ الفصل/12، الآية (12.7).
22- Carlton.Hayes,Modern Europe to1870,Newyork,Macmillan.com.fifth edition,1959.pp:-39-40
23- http:- www.vatican.va-news-serrvices/press. وللتوسع حول القرارات الخاصة بالتبرئة انظر: عمر فروخ ومصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار في البلدان العربية، بيروت،دار العلم

للملايين،ط2 1972.وللتفصيل اكثر عن العلاقات بين البابا يوحنا بولس الثاني واليهود وإسرائيل انظر،علاء عبد الرزاق،العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل خلال عهد البابا يوحنا بولس الثاني(1978-2005،نمجلة مركز الدراسات الفلسطينية،جامعة بغداد،2008.

24- http:- www.Jewish Public affaris .org.Pope.Interreliggious.

25- http:- www.Jewish public affaris.org.Pope.Interreligious.

26- www.vatican information center, Pope Benedict, op.cit

27- Van Biema David, Pope Benedict on Question of Judaism, Time, www.time,magazine.articles

28- Ibid

29- http:en.wikipedia.org.wiki-Pope Benedict XVI and Judaism

30- Van Biema,op.cit

31- للتفصيل حول نظرة البابا الى اليهود والى الدور الذي لعبه اليهود في الحياة الروحية المسيحية انظر ابرز مؤلفات البابا بنديكت السادس عشر ومنها : Daughter Zion, Mediation on the Church Marian Belief ويتمحور هذا الكتاب حول دور السيدة مريم العذراء في احتضانها الكلمة الالهية بعدها بنتا لصهيون.

32- Van Biema, op.cit

33- Owen Richard, Pope PiusXII who was silent on Holocaust on road to sainthood. The Times,London.http,www.timesonline.co.uk.2008

34- www.Pope Benedict XVI and Judaism, op.cit

35- Ibid

36- Ibid

37- نص هذه الصلاة في : Vatican Information Center

38- www.Pope Benedict and Juadism ,op.cit

39- www.irishtimes,newspaper,world,2010

40- Ibid

41- Ibid

42- http.www.vatican,holy father,benedict, encyclical, documents

43- www.Pope BenedictXVI and Judaism,op.cit

44- يحاول البابا من خلال اجراء هذه الطقوس المماهاة بينه وبين الانبياء باعتباره وارثا للسلطة الرسولية التي يمثلها كبير الحواريين وللتفصيل عن نظرته لدوره هذا،انظر،

Tobin, Greg. Holy Father*: Pope Benedict XVI: Pontiff for a New Era*. Sterling, 2005.

45- Own Richard,Pope Pius XII, op.cit

46- center www.vaticaninformation

47- جويل بينرمان، الفاتيكان والقدس، الجذور التاريخية للموقف والتطورات المعاصرة، ترجمة:علاء عبد الرزاق، نشرة مركز الدراسات الفلسطينية المترجمة،2006

48- للتفصيل اكثر عن نظرة اليهود للبابا بنديكتوس السادس عشر انظر، (موقف اسرائيل من انتخاب البابا الجديد، مشاعر غبطة وارتياب بماضٍ بعيد، ترجمة، علاء عبد الرزاق، النشرة المترجمة، مركز الدراسات الفلسطينية، 2005

49- حول هذه النقطة بالذات، انظر: علاء عبد الرزاق، التهديدات التي تطال المقدسات المسيحية في القدس، ورقة مقدمة الى المؤتمر العلمي الخامس لمركز الدراسات الفلسطينية،جامعة بغداد،2010